المراد بمصطلح التّشكيل دراسة الوظيفة الصّوتية للصّوت ، في علاقاته بما يُـــجـــاوره من الأصوات. ومدى تفاعله و علاقاته التي لا تنظر للصّوت على أنّه صوت مجرّد ، بل هو مجموعة مع غيره من الأصوات.[1] فالأصوات اللغوية ليست عناصر متناثرة ، إنّما هي نظام منسق تحكمه علاقات خاصّة بهذه اللغة أو تلك . فـــمعـــلوم أنّ الكلام الإنساني عـــبارة عن سلاسل صوتية يتّصل بعضها ببعض اتّصالا وثيقا ، فنحن لا نتكلم أصواتا مفردة وإنّما كلمات و جملا وفقرات.

وليس كلّ صوت صالحا لأن يُجاور أيّ صوت في السّلسلة الكلامية ، فمخرج الصّوت وصفاته ، هي التي تُحدّد وُرودَ صوت بعينه ، في موقع بعينه ، أو عدم وُرودِهِ ذلك أنّ أعضاء النّطق لا تنطقُ كلّ صوت مستقلاّ بمفرده ، و إنّما يتأثّر نطق الصّوت الواحد بالأصوات السّابقة عليه واللاّحقة له ، ولهذا تحرصُ اللغات عامة على أن يكون هناك انسجام تام بين الأصوات داخل الكلمات حتّى تؤمن قدرا أعـــلى من السّهولـــــة في النطق وحدّا أعلى من الوضوح في السّمع .[2] والأصوات تخضع لـــقـــواعد معـــــينة في تجاورها و ارتباطاتها و مواقعها ، وكونها في هذا الحرف أو ذاك ، و إمكان وُجـــودها في هذا المقطع أو ذاك. ثمّ دراســـة الظواهـــر التي لا ترتبط بالأصـــوات (الصّـــوامت والمصوّتات) من حيث هي ، بل بالمجموعة الكلامية بصفة عامة كالنبر و التنغيم . ودراسة الأصـــوات من هـــذه النّـــــواحي الأخيرة ، دراسة لسلوكها في مواقعها أكثر ممّا هي دراسة للأصوات نفسها. وتلك هي دراسة التشكيل الصّـــوتي.[3]

وتُعدّ المماثلة بأضربُها و أشكالها المتنوعة ، إحدى الرّكائز التي تستنجد بها العربية لتفادي كلّ تنافر أو تباعد يُصيبُ أصواتها في تواصلها. وقد درس النحاة و اللغويون العرب القدامى المماثلة بأنواعها ، وذكروا أمثلة كثيرة تضمّنتها مُعالجتهـــم لـــظواهـــر الإبدال

---

[1] ــ اللغة و أنظمتها بين القدماء و المحدثين : ص 72.

[2] ــ أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية " فوزي حسن الشايب "، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط 1 ، 1425هـ 2004م ، ص 15.

[3] ــ ينظر : مناهج البحث في اللغة : ص 139 .

و الإدغام و الإعلال و غيرها.[1]

وابن سينا بدوره ميّز بين الجانب الفيزيقي و الجانب اللغوي في أصوات الكلام ونقصد بالجانب الفيزيقي كلاّ من النّاحية النّطقية و الفيزيائية للأصوات ، و نقصد بالجانب اللغوي ذلك الإدراك السّمعي المرتبط بنظام كلّ لغة ، والتّمييز الصّوتي القـــائـــم على الملامح الفارقة من وجهة نظر آذان أبناء اللغة. وقد أورد لنا ابن سينا أصواتا لا توجد في لغة العرب ، و لكنّها تُشبه بعض أصوات العربية في بعض الملامح الصّوتية ، أو تشترك معها في بعض الخصائص ، فيقول : " **و هاهنا حروف غير هذه الحروف ، تحدث بين حرفين حرفين فيما يُجانس كل واحد منهما يشركه في سببه.**" [2]

وكلام ابن سينا عن مصطلح " **التـــّـــشـــابه** " بين الأصوات اللغوية في الفصل الخامس من رسالته الموسوم ب : " **في الحروف الشبيهة بهذه الحروف و ليست في لغة العرب**" 2 دليل على إدراكه للواقع السّيكولوجي للفونيم " **الحرف** " باعتباره صورة ذهنية مجردة وإدراكه الفرق بين هذه الصورة ، و بين تنوع تحقيقها الفعلي عند أبناء اللغة ، وعند غير أبناء اللغة.[3] و يجرّنا هذا الكلام إلى الإشارة لمصطلح **الفونولوجية** أو **علم وظائف الأصوات** ــ الذي لم يُصرّح به ابن سينا ، ولكن نفهم حقيقته من خلال مُعالجته للحروف الشبيهة بلغة العرب ــ الذي يدرس الصورة المجردة للأصوات اللغوية ، ثم عمليات تحقّقـــــها في النطق و في الكلام. فالسين مثلا صورة ذهنية مجردة تحققت شبيهة بالصاد " **سين صادية** " [4]وتحققت شبيهة بالزاي " **سين زائية** " [5].

---

[1] ــ ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة و اللغويين العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري ــ رسالة قدمت لنيل شهادة الدكتوراه ــ " المهدي بوروبة" ، تلمسان ، 1423هـ ، 2002م ، ص 196.

[2] ــ رسالة أسباب حدوث الحروف : ص 86 ــ 127.

[3] ــ علم الأصوات عند ابن سينا : ص 74 .

[4] ــ رسالة أسباب حدوث الحروف : ص 88 ــ 129 .

[5] ــ نفسه : ص 89 ــ 129 .

أوّلا : مـــصـــطـــلـــحـــات الـــدراســـة الـــتـــشـــكـــيـــلية

أدرك ابن سينا التغيرات التي تلحق الأصوات أثناء التشكيل ، فميّز بين الدّراستين الوصفية و التشكيلية ، مستعينا في شرح بعضها على ما يعرف من أصوات لغات أخرى كقوله : الباء التي كالفاء وغير ذلك . ومن المصطلحات التي استند إليها قـــصـــد إدراك الناحية الفونولوجية لأصوات اللغة العربية : **الإبدال** و **المشابهة** [1] .كما ذكر **المشاكلة** و**المخالفة** [2] ولكنه لم يقصد بهما ما قصده اللغويون القدماء و الأصواتيون المحدثون بمصطلحي المماثلة و المخالفة كما سنوضح لاحقا .

1 ــ الإبـــدال* و المـــشـــابـــهـــة :

جاء في اللسان : بدلُ الشيء : غيرهُ ، وتبديل الشيء : تغيره ، و إن لم تأت ببدل واستبدل الشيء : بغيره ، وتبدل به إذا أخذه مكانه . و المبادلة : التبديل ، والأصـــــل في التبديل تغيير الشيء عن حاله ، و الأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر كإبدالك من الواو تاء في تا الله . [3] و الشَّبْهُ و الشَّبَهُ و الشَّبيهُ : المثلُ . و الجمع : أشباه . و أشبه الشيءُ الشيءَ : ماثـــلـــه. وفي المَثَلِ : من أشبه أباه فما ظلم . و المتشابهات : المتماثلات . والتّشبيه التمـــــثيل. [4]

وبناءا على هذين المعنيين اللغويين ، ولما أدرك ابن سينا سعة المعنى اللغوي وإمكانية استيعابه لفكرتي الإبدال و المشابهة كما وقّرتا في ذهنه استعمل المصطلحين مقابل مصطلح التقابل الفونيمي ، فالعلاقة بين المعنى المعجمي و العلمي هي التغيير لعلاقة المشابهة . فرغم أنّ ابن سينا لم يصرّح بمصطلح التقابل ، إلاّ أنّه تطرّق في الـــفصل الخامس من رسالتـــه

---

[1] ــ رسالة أسباب حدوث الحروف ، ص 86 ــ 92 ــ 127 ــ 128 ــ 131.

[2] ـ الشفاء ـ المنطق ـ الفن التاسع ـ الشعر ـ ص 26 .

* ــ الإبدال هو جعل صوت مكان صوت غيره ــ ينظر : المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، ص 228 ــ في بعض الكلمات مع بقاء الأصوات الأخرى . ينظر : فقه اللغة وخصائص العربية " محمد المبارك " ، دار الفكر ، ط7 ، 1981م ، ص 66.

[3] ــ لسان العر ب مادة (بدل) 11 / 56 ــ 57.

[4] ــ نفسه : مادة (شبه) 13 / 622 ــ 623 .

إلى فكرة الفـــونيـــم Phoneme* والألوفونات Allophone* * التي تتحقـــــق في سياقات صوتية بعينها. فبعد أن عرض لفونيمات اللغة العربية ، تناول تحققاتها المتغيرة حسب الموقع ، وحسب السياق ، ورغم أنّه لم ينطق بمصطلحات الدراسة التشكيلية الحديثة **كالمماثلة والإمالة** وغيرهما ، إلاّ أنّـــه أدرك الناحية الفونولوجية عند تحليله لأصوات اللغة العربية ، و لم تكن فكرة الرمـــــــــوز الصوتية قد ظهرت بعد كي يرسم أو يشير بها إلى ما يعنيه ، فاستعان بذكر أصـــــوات من لغات أخرى كان يعرفها غير اللغة العربية ، و لكنه لم يذكر أسماء هذه اللغـــــــات إلاّ الفارسية 1 ، التي هي لغته الأولى والتي كان على علم و ثيق بها [2]، و أصوات أخرى سمعها من أعاجم اختلطوا بالعرب أو من الأماكن المختلفة التي كان يزورها أو ينتقل إليـــــها وأطلق التسميات لأصوات ليست في لغة العرب ما زال بعضها يستخدمـــــــــها إلى الآن مثل : **الكاف الخفيفة و الباء المشددة.**[3]

وعدد الحروف الشبيهة بهذه الحروف و ليست في لغة العرب ، سبعة عشر صـــــوتا هي : [4] **الكاف الخفيفة ، الحرف الشبيه بالجيم ، و الجيم الشبيهة بالزاي ، والجيم الشبيهة بالسين ، و الجيم الشبيهة بالصاد ، و الســـين الصاديـــة ، والسين الـــزائيـــة والزاي الشينية والراء الغينية ، و الراء اللامية ، والراء المطبقة ، واللام المطبقة والـــزاي الظائيـــة والفاء التي تكاد تشبه الباء ، و الباء المشددة ، و الميم ، و النون.**

---

* ـــ الفونيم : مصطلح تشكيلي تدور حوله بحوث كثيرة. ينظر : علم الأصوات ، بارتيل مالبرج ، ص 229.

** ـــ الألفون : هو عنصر من عناصر الفونيم ، تغييره لا يغير المعنى. و يمكن للألفون أن يكون عنصرا اختياريا ، كتعدد صور الجيم و القاف ، و يمكن أن يكون عنصرا إجباريا تحدده مواضع معينة في السياق ، فمثلا : الموضع الذي يرد فيه ألوفون النون بصورة فيها غنة كما في (من يعمل) ، لا يجوز أن يحلّ فيه ألوفون فيه صورة النون الغارية أو الشفهية . مبادىء اللسانيات ، ص 105 ـــ 106.

1 ـــ اللغة الفارسية أطلّت برأسها في القرن الثالث الهجري لابسة ثوبا عربيا ، بعد أن كتبت بالخط العربي ، وطُعّمت بكثير من العناصر العربية المتنوعة التي لم تقتصر على الألفاظ و العبارات ، بل تعدتها إلى الأوزان و القوافي و الفنون البلاغية المختلفة . و كتابتها بالخط العربي توفر على الدارس الذي يعرف العربية الجهد الذي يبذله كل من يريد دراسة لغة جديدة تكتب بحروف غير حروف لغته الأصلية. ينظر : قواعد اللغة الفارسية ص 7 .

2 ـــ الأصوات اللغوية " إبراهيم أنيس " : ص 146 .

3 - علم الأصوات عند ابن سينا : ص 74 .

4 - رسالة أسباب حدوث الحروف : ص 86 ـــ 90.

وابن سينا لم يكن يعن بذكره لهذه الأصوات ، أنّ هذه الأخيرة باعتبارها فونيمات مستقلة لكلّ منها صوت ووظيفة يُؤدّيها في الكلام ، مقتصرة على تلك اللغات الأخرى غير العربية ، وإنّما قد يتحقق بعضها في الكلام العربي ، ولكن باعتبارها صورا نطقية فرعية لفونيمات أصلية في اللغة العربية ، وهي تلك التي يُـــطلق عليـــها في الـــدراسات اللســـــــانية مصطلح" **الألوفونات** " Allophones* ، و ليست لها صور كتابيـــة تميّز نطقها عن باقي أصوات المنظومة العربية ، مثل الأصوات الستة المستحسنة و السبعـــة الغير مستحسنة** التي أضافها سيبويه ، وسمّاها **بالفروع** 1 وهي تقابل التسمية الأوربـــــية " **ألوفونات** ".

فالنون مثلا ، وهو وحدة صوتية له نطق آخر فرع له أو تنوع أو ألفون وهو النون الخفيفة وكذلك الهمزة لها ألفون وهو الهمزة التي بين بين ، وكذلك الألف والشين و الصاد لها فروع من الأصوات الستة المستحسنة.

فإذا تأثر صوت ما بسبب من وضعه في الكلمة ، فاكتسب صفة غير صفته ، كأن تتحول الباء المجهورة إلى باء مهموسة في الكلمة ، دون أن يتأثر المعنى ، فإنّ هذا الصوت لا يكون وحدة صوتية ، و إنّما تنوعا صوتيا أو ألوفونا ، مثل : كلمة (**كبت**) فالباء هنا مهموسة بسبب من موضعها بين صوتين مهموسين وهي تنوع للباء ، أمّا كلمتا (**كتب وكاتب**) فإنّ الحركة هي الفارق بين الكلمتين ، وهي السبب في تغـــــير المعـــــنى بين الكلمتين و لذلك فإنّ الحركة هنا وحدة صوتية أو فونيم. [2] فالذي يحدث بين الصوتين المتجاورين في الكلمة ، مثل ما يحدث بين المواد المحملة بالكهرباء ، فتجاور مـــــادتيـــن

---

* ــ الألفون : يترجم صوتي ، وهي ترجمة الأستاذ النعيمي. ينظر : المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ص 225 ــ 226.

** ــ الأصوات المستحسنة في قراءة القرآن و الأشعار هي : النون الخفيفة ، و الهمزة التي بين بين ، و الألف التي تمال إمالة شديدة والشين التي كالجيم ، والصاد التي تكون كالزاي ، وألف التفخيم يعنى بلغة أهل الحجاز في قولهم : الصلاة و الزكاة و الحياة. ينظر : الكتاب 4 / 432. و الأصوات السبعة التي لا تستحسن في قراءة القرآن ولا الشعر هي : الكاف التي بين الجيم و الكاف ، والجيم التي كالشين ، والضاد الضعيفة ، والصاد التي كالسين ، والطاء التي كالتاء ، والظاء التي كالثاء ، والباء التي كالفاء. ينظر : الكتاب 4 / 432.

1 ــ الكتاب 4 / 432 .

[2] ـ أسرار العربية " الإمام أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري "، تحقيق : محمد بهجت البيطار ، مطبعة الترقي دمشق ، دط ، دت ، ص 109 - 110.

من هذه المواد يحدث بينهما تجاذبا إذا كانتا مختلفتين في نوع كهربائهما ، بأن كانت إحداهـــما موجبـــة والأخرى سالبة ، وتنافرا إذا كانـــتا متحدتين فيه بأن كانـــت كلتـــاهما موجبة أو سالبة ، و كذلك يفعل أحيانا التجاور أو التقارب بين الصوتين .[1] فالذي يحدث بين الأصوات المتجاورة والمتقاربة في الكلمة من ظواهـــــر التفاعل أنواع كـــثيـــرة يؤدي كل منها إلى نتائج ذات بال في التطور الصوتي.

2 ــ المـــشـــاكـــلـــة و المـــخـــالـــفـــة :

الأصوات في تأثرها تهدف إلى تحصيل التشاكل أو المماثلة بينـــــها ، ليـــــزداد مع مجاورتها قُربها في الصفات أو المخارج ، وهو مطلب مهم من مطالب السّياق وهو تيسير جانب اللفظ عن طريق تيسير النطق. و المشاكلة في نطاقها الأكبر تحقق الانسجـــام الـــصـــوتي في السياق ، وفي نطاقها الأصغر تهدف إلى تيسير جانب اللفظ عن طـــريق الـــنطـــق .[2] في حين أنّ المخالفة هي ضدّ المماثلة ، فإذا كانـــت المماثـــلة تـــعـــمـــل على التقريب بين المتنافرات و المتناقضات ، فالمخالفة تعمدُ إلى التفريق بين الأمثال والمتقاربات ، وتحرص العربية عليها ــ أي المخالفة ــ لما تُؤَمّنهُ من تنوع موسيقي محبب تظهر معه الأصـــوات على حقيقتها نطقا و سمعا.[3] والغاية من عمل هذه و تلك هو تيسير النطق ، وتقليل الجهد .

وابن سينا تعرض لمصطلحي المشاكلة و المخالفة * في معرض حديثه عن الشعر وأصناف الصّنعات الشعرية ، فيوضّح أنّ الحيلة التّركيبيّة في اللّفظ مثل : **التّســـجيع** و **مشاكلـــة**

---

[1] ـ علم اللغة " علي عبد الواحد وافي "، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، ط9 ، 2004م ، ص 298.

[2] ــ دراسات في اللسانيات العربية ــ المشاكلة و التنغيم رؤى تحليلية ــ "عبد الحميد السيد" ، دار الحامد للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن، ط1 ، 1425هـ ، 2004م ، ص 11 ــ 32.

[3] ــ أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ، ص 298.

* ــ لم يلتزم النحاة و اللغويون بمصطلح واحد للدلالة على المشاكلة أو المماثلة ، فسيبويه مثلا راح ينعتها ــ أي المماثلة ــ بجملة من التسميات : " المضارعة" ينظر : الكتاب 4 / 477 و "المشابهة و الإتباع" . ينظر : الكتاب 4 / 196. و" التقريب" ينظر : الكتاب 4 / 478. و " القلب " ينظر : الكتاب 4 / 479. و" الإدغام " ينظر : الكتاب 4 / 117. أما الفراء فقد عبر عن المماثلة بمصطلح " المقاربة " التي تؤول إلى أقصى درجاتها (الإدغام) . ينظر : معاني القرآن " أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء " ، عالم الكتب بيروت ، ط1 ، 1955م ، ط2 ، 1980م ، 1 / 215 ــ 2 / 354 . في اكتفى الأخفش بذكر مصطلح " الإدغام " للتعبير

الوزن و **التّرصيع** و **القلب** و **أشياء قيلت في الخطابة**.[1] ولكنه لم يقصد بهما ما قصده علماء الأصوات المحدثين بمصطلح " **المماثلة** " ، التي هي تقريب صوت من آخر يُجاوره[2] ليعمل اللسان عملا واحدا ، و المخالفة التي هي الفرار من توالي الأمثال لثقل اجتماعها[3] بل درس ابن سينا في خضمّ حديثه عن مصطلحي المشاكلة و المخالفة الجانب البلاغي للألفاظ ، و هذا وإن دلّ على شيء ، فإنّما يدلّ على سعة علم الشيخ الرئيس ، ومدى اطّلاعه على علوم سابقيه ، فلقد بدت ملامح مصطلح " **التشاكل** " على أيدي البـــلاغيين ، فأطـــلقوه على لون من ألوان **البديع** ، وهو عندهم ذكر الشيء بلفظ غيره لوُقوعه في صـــحبـــتـــه تحقيقا 4 ، نحو قوله تعالى : ﴿ **تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْـــلَمُ**

عن تلك الحالة التي يتجرد فيها كل صوت من خصائصه ليفنى في غيره . ينظر : معاني القرآن " أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري " ، حققه : فائز فارس ، دار البشير ، دار الأمل ، الكويت ، ط1 ، 1400 هـ ، 1979 م ، 1 / 106 . في حين أ نّ المبرد يستعمل مصطلحات " الإدغام" ينظر : المقتضب 1 /227 ــ 246 . و " التقريب" ينظر : المقتضب 1 / 244 ــ 249. و المشاكلة ينظر : المقتضب 1 / 281 . للدلالة على المماثلة. و أطلق ابن جني مصطلحات ــ المضارعة ــ ينظر : سر صناعة الإعراب 1 / 51 . و الإدغام ، ينظر : الخصائص 2 / 141 ــ 142 . والإمالة ــ ينظر : الخصائص : 2 / 141 . قاصدا بها المماثلة .. وأطلق العرب على المخالفة مصطلح ــ كراهية التضعيف ــ ينظر : الكتاب 4/ 482 ــ 483 . ويعرفها ابن جني بقوله : " باب في العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف ...وذلك أنه أمر يعرض للأمثال إذا ثقلت لتكريرها فيترك إلى ما هو أثقل منه ليختلف اللفظان على اللسان ." الخصائص 3 / 18 .

1 ــ الشفاء ــ المنطق ــ الفن التاسع ــ الشعر : ص 26 .

2 ــ الأصوات اللغوية " إبراهيم أنيس" : ص 179 وما بعدها ، وينظر : الأصوات اللغوية " عبد القادر عبد الجليل "، ص 293 و ينظر : لحن العامة و التطور اللغوي " رمضان عبد التواب " ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط 2 ، 2000م ، ص 42 وما بعدها.

3 ــ نفسه : ص 211 ، والأصوات اللغوية " عبد القادر عبد الجليل " ص 293 ، ولحن العامة و التطور اللغوي ص 45 وما بعدها.

4 ــ الإيضاح في علوم البلاغة " الخطيب القزويني" ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1405هـ ، 1985م ، ص 360.

مَا فِي نَفْسِكَ ﴾[1] ، فأطـــلق النفس على ذات الله لوقوعه في صحبة (نفسي) على سبيل مُشاكلة اللفظ للفظ .[2]

3 ــ مـــصـــطـــلـــحـــات بـــنـــيـــت عـــلـــى الـــتـــقـــابـــل بـــيـــن الـــعـــربـــيـــة و الـــفـــارســـيـــة :

بعد أن عرض ابن سينا لأصوات اللغة العربية في حالة الإفراد ، تناولها في فصل آخر أثناء تحققها في النطق و الكلام ، وقد يعتور الصّوت الواحد صورا آدائية مختلفة ، فالسين مثلا قد تُؤدّى صادا وقد تُؤدّى زايا .

وكان ابن سينا في الفصل الخامس من رسالته يربط الصّوت ويردفه بمتغيّره في الآداء فأطلق مصطلحات خاصّة به كأن يقول : **سين صادية** ، **الكاف الخفيفة** ، **والباء المشددة** مستعينا في ذلك بذكر أصوات من لغات أخرى كالفارسية التي كان على علم وثيق بها وأصوات أخرى سمعها من أعاجم اختلطوا بالعرب ، أو من أماكن مختلفة كان يزورها وينتقل إليها ، مُعطيا بوصفه للصوت ومتغيّره صورة حقيقية لكيفية تأدية أصوات اللغة العربية في عصره .

ويمثل هذه الظواهر التشكيلية تكون اللغة العربية قد حافظت على سلاستها وانسيابها متخلّصة من التراكيب الصّعبة التي يخلقها الصوّتان المتنافران ، محقّقة التّجانس ، فيجهر المهموس ويهمسُ المجهور ، ويبدل المنفتح إلى مطبق وهكذا حسب ما يقتضيه السياق الصّوتي . وقد تبنّيت الترتيب الألفبائي في عرضي لهذه الظواهر التشكيلية .

أ ــ الـــبـــاء المـــشـــددة :

ينسب ابن سينا هذا الصوت للغة الفرس ، و يضرب مثلا له بكلمة" **پـــيروزي**" ويصفها قائلا : " **تحدث بشدّ قويّ للشّفتين عند الحبس وقلع بعنف و ضغط للهواء بعنف.**" [3]

---

[1] ــ سورة المائدة : الآية 116.

[2] ــ دراسات في اللسانيات ــ المشاكلة و التنغيم رؤى تحليلية ــ ص 9 .

[3] ــ رسالة أسباب حدوث الحروف : ص 92 ــ 131 .

ولعل ابن سينا يقصد بالباء المشددة ، ذلك الصوت المألوف في كثير من اللغات الأوربية. و الذي يُرمز له ب (**P**) ، ورمز له الفرس القدماء بباء تحتها ثلاث نـــقـــط (**پ**) .[1]

فالفرق بين **الباء** و (**P**) أنّه إذا نطقنا الباء وُجدَ صوت ثان علاوة على صوت فتح الشفتين ، وهو صوت خارج من الحنجرة من اهتزاز الوترين الصوتيين. وعند نطق **الپـاء** (P) ينعدم هذا الصوت . و أسهل طريق للوقوف على الفرق بينهما هو سدّ الأذنين بالأصابع ، فإنّه يُسمع إذا عند نطق الباء رنّة لا تسمع عند نطق **الپاء** (P).[2]

فالفرق إذن بين هذين الصوتين (P) و الباء العربية ، هو فرق في الجهـــر و الهـــمـــس فالباء العربية مجهورة ، و نظيرها المهموس هو هذا الصوت الفارسي.

ب ــ الـــــجـــــيم :

لاحظ ابن سينا أنّ هذا الفونيم يمكن أن يتحقق حسب السياق الصّوتي في أربع صـــور نطقية مختلفة ، يبينها الشكل الآتي : [3]

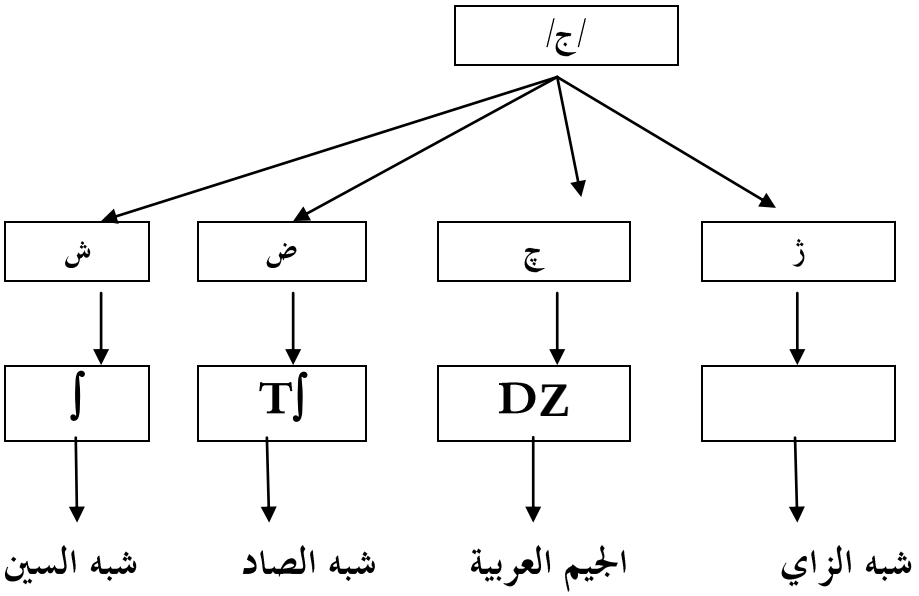

[1] ــ الأصوات اللغوية "إبراهيم أنيس" : ص 150 ، و ينظر : قواعد اللغة الفارسية ، ص 10.

[2] ــ التطور النحوي للغة العربية : ص 13.

[3] ــ ينظر : علم الأصوات عند ابن سينا : ص 75 .

فأول الحروف الشبيهة بالجيم هو ذلك الحرف الذي يُنطق به في أول اسم البئر بالفارسية وهو " **چاه** " . و ينطق حرف **چ** مثل : **Ch** في الانجليزية أو الفـــرنسية أي " **تش**" [1] يقول ابن سينا في وصفه : " **وهذه الجيم يفعلهـــــا إطبـــــاق من طرف اللسان أكثر وأشد وضغط للهواء عند القلع أقوى. و نسبة الجيم العربية إلى هذه الجيم هي نسبة الكاف الغير عربية إلى الكاف العربية .**" [2]

أمّا الحروف الثلاثة الأخرى الشبيهة بالجيم لا وجود لها في العربية ، ولا الفارسية ولكن توجد في لغات أخرى * ، يقول ابن سينا : " **وكلها بيّن فيها ما في الجيم من استعمال رطوبة تفعل جَرْسَها ، وهي الرطوبة المُعدّة وراء الحبس ، و يكون عليها اعتماد الهواء عند الإطلاق ، فإذا سُلبت هذه الرطوبة ، واعتمد الجزء الذي وقع عليه الحبس حدث هناك همس .**" [3]

وفي الرواية الثانية يقول : " **وكلّها ــ أي الحروف الثلاثة الشبيهة بالجيم ــ تبتر عنها الفرقعة التي في الجيم ، و يزول جرسُها إلى الهمس و الصفير اليابس.**"[4]

ما يثير الانتباه في كلا التعريفين ، ذكرُ ابن سينا مصطلح " **الهس** " ** ولـــكـــن لا ندري ما المقصود منه ، فابن سينا لم يوضح ذلك ، و لم يذكـــر الهـــمـــس كصفة من صفات الأصوات**.

والحروف الثلاثة الشبيهة بالجيم هي : **الجيم الشبيهة بالزاي ، و الجيم الشبيهة بالسين والجيم الشبيهة بالصاد.**[5]

---

[1] ــ قواعد اللغة الفارسية : ص 10 ، والأصوات اللغوية " إبراهيم أنيس " : ص 146.

[2] ــ رسالة أسباب حدوث الحروف ، ص 86 ــ 87 ــ 127 ــ 128.

* ــ إذا تذكرنا أن ابن سينا قد عني كل العناية بعلوم اليونان ، وأنه اتصل بلغتهم بعض الاتصال لم يكن من الشطط في الاستنتاج أن نقرر أنّ ابن سينا هنا يصف لنا أصواتا سمعها في اللغة اليونانية القديمة. ينظر : الأصوات اللغوية " إبراهيم أنيس" : ص 147.

[3] ــ رسالة أسباب حدوث الحروف : ص 87.

[4] - نفسه : ص 128.

** ــ يعرف سيبويه المهموس بقوله : " حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه." ينظر : الكتاب 4 / 434.

** ــ ينظر الفصل الأول من هذه المذكرة .

[5] ــ رسالة أسباب حدوث الحروف : ص 87 ــ 88 ــ 128 .

فالأولى" **تحدث عن الهواء المولد للهمس هزّ كالهزّ الذي في الزاي**" [1] ، والثانية " **يُسرب الهواء الفاعل لهيئة الجيم يلبسا في خلل الأسنان من دون تعرّضه لهزّ شيء.**" 1، و الثالثة " **لمثل ذلك ــ أي الجيم الشبيهة بالسين ــ زيادة في الإطباق** ." 1

إنّ هذا الصوت [*] الذي يصفه لنا ابن سينا يشبه الزاي في اهتزازه ويشتـــرك مع السين و الصاد في تسريب الهواء من خلال خلل الأسنان ، وفيه تقعّر يجعله يشـــترك مع الصاد في الإطباق .

وإبراهيم أنيس يشرح لنا هذه الحروف الثلاثة على النحو التالي ، حيث يقول : " نعلم أنّ اليونانية القديمة تشتمل على حرفين يسميان (**زيتا ــ كسي**) ، ونعلم أنّ الأول منهما ينطق به حين يليه صوت لين مركب Diphthong . كذلك الصوت الأول الـــــذي وصفه ــ **الجيم الشبيهة بالزاي** ــ أي **Dz** . أمّا الحرف اليوناني الثاني ــ **الجيم الشبيهة بالسين** ــ أي "**كسي**" ، فهو الذي نراه في بعض اللغات الأوربية الحديثة ، ويرمز له بالرمز **X** ، وينطق به في اليونانية القديمة كأنّه يبدأ **كالكاف** و ينتهي **بالسين** ، أي مثل الكلمة الانجليزية Express . على أننا في بعض الكلمات الانجليزية نسمع **السينيـــــة** من هذا الصوت مفخمة ، كأنما هي **صادية** مثل : Exultation ، ولكن لا يُعـــــدان في مثل هذه الحالة إلاّ فونيما واحدا . أي أنّ ما يشبه **الصاد** يعدّ لونا من ألوان **الســـــين** لا يتغير له المعنى ، فليس الأمر كاللغة العربية ، التي تجعل كلا من **السين** و**الصـــاد** فونيمـــا مستقلا ، يتغير له المعنى ، مثل : (**صبر ــ سبر**) . فلعل ابن سينا سمع الحرف اليوناني "**كسي**" ينطق به غالبا منتهيا **بالسين** ، وفي قليل من الأحيان منتهيا بـــما يشـــبه

---

[1] ــ رسالة أسباب حدوث الحروف : ص 88 ــ 128.

[*] ــ أشار اللغويون و النحاة إلى الجيم التي كالكاف ، وعدوها صوتا صوتا مستقبحا . ينظر : الكتاب 4 / 432 .فمثلا كلمة (رجل) تتحول بهذه الجيم إلى (ركل) Ragul ، وبالتالي ، تصبح أختا للجيم القاهرية ، و مطابقة لها تماما. ينظر : اللغة العربية معناها و مبناها ، ص 55 ، و في كلتا الحالتين رأى سيبويه في الصوتين شيئا واحدا ، غير أنّ الأصل في الأول : الكاف ، وفي الثاني الجيم . ينظر : شرح المفصل " ابن يعيش " ، عالم الكتب ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، دط ، دت ، 10 / 127 .

الصاد فوصف لنا الحالين. وعبّر عن الأول بأن يضرب إلى **شبه السين** ، وعن الثاني بأن يضرب إلى **شبه الصاد** . وهكذا نرى أنّ ابن سينا يعتبر صوتا فارسيا هو " **تش** " و معه ثلاثة أصوات يونانية ، هي : **Dz ــ Ks ــ كص** . يعتبر هذه الأربعة أشباها لصوت الجيم العربية . بما تشتمل عليه جميعا من صفة الازدواج ، أي لأنها جميعا تبدأ بعنصر شديد يليه عنصر رخو. أمّا في الأثر السمعي لكل منها ، فالفرق واضح يبرر جعل كل منها صوتا مستقلا ذا كيان خاص." [1]*

ج ــ الـــراء المـــطـــبـــقـــة :

إنّ حدوث هذا النوع من المسموعات راجع لسلطة السياق في أثناء الكلام ، لأنّه قد يتوفر لهذا الصوت ظروف معينة كالإطباق الذي يجعله قويا ، ووصف ابن سينا له بالمطبق لأنه يحدث معه إطباق للسان كالذي يحدث مع أصوات الإطباق** ، فيُعدّ أحد أصوات الإطباق تماما ، ولكن من حيث الصفة فقط ، يقول : " **يُرعّد فيها لا الطّرف من اللسان فقط بل وسطه.** " [2]

ولعلّ ابن سينا يشير بوصفه هذا إلى الراء المفخمة***، التي لا يعمل مـــعهـــا جزء

---

* ــ يعلل" إبراهيم أنيس " سبب استعمال صوتي : السين و الصاد لكلمة واحدة ، ومعنى واحد ، يقول : " رُوي أنّ بني العنبر من تميم ممن توغلوا فب البداوة ، ومالوا إلى تفخيم الأصوات ، كانوا ينطقون بكلمة " الساق " قائلين " الصاق ". فإذا قارنا هذه الرواية بما روي في مكان آخر عن كلمة " الصقر " ، وأن لها نطقا آخر غير منسوب هو " السقر " أمكننا أن نقسم هذه الظاهرة إلى نوعين : النوع الأول هو أن بعض الكلمات كان ينطق بها بين البدو مشتملة على صوت تفخيم ، وينطق بها في الوقت نفسه بين الحضر مشتملة على نظيره المرقق. وقد عاش النطقان جنبا إلى جنب قبل الإسلام مثل : الساق و الصاق . أما النوع الثاني فهو أن الكلمة لم يكن لها قبل الإسلام سوى نطق واحد ، ورد في نصوص أدبية موثوق بها ، ثم تطورت بعد الإسلام ، وأصبح لها نطق آخر سمعه الرواة حين جمعوا اللغة. فالصقر هو النطق القديم لهذه الكلمة ثم تطورت الصاد في بيئة حضرية و أصبحت سينا. ينظر : في اللهجات العربية ص 112.

[1] ــ الأصوات اللغوية " إبراهيم أنيس " : ص 147 ــ 148.

** ــ أصوات الإطباق هي : الصاد ــ و الضاد ــ والطاء ــ و الظاء.

[2] ــ رسالة أسباب حدوث الحروف : ص 130.

*** – إنّ أصل الراء التفخيم ، حتى يدخل عليها ما يوجب ترقيقها ، وما لم تدخل عليها علة من علل الترقيق ، فهي جارية على أصلها وهو التفخيم ، لا يجوز في القراءة سواه. ينظر : الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات ، ص 161. و ترقق الراء إذا كانت مكسورة شرط ألا يكون في الكلمة حرف استعلاء ، وأن لا يقوى الفصل بين الكسرة و الراء. ينظر : المبهج في القراءات السبع "سبط الخياط العجمي" ، تحقيق : سيد حسن كسروي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1427هـ ، 2006م

من اللسان فقط ، بل وسطه أيضا ، فهذه الأخيرة تُعدُّ من الناحية الصوتية أحـــد أصوات الإطـــباق ولكن الرسم العربي لم يرمز لها برمز خاص ، يتغير بتغييره معنى الكلمة و لهذا نعدّ كلا النوعين صوتا واحدا ، أو فونيما واحدا. [1]

د ــ الـــراء الـــغـــيـــنـــيـــة :

يصفها ابن سينا قائلا : " **نسبتها إلى الراء و الغين ، نسبة الحرف المذكور قـــبلها إلى الزاي و السين ، و تحدث بأن يتغرر بالهواء التغرغر الفاعل للغين ، ثم يُرعد طرف اللسان أو يحدث في صِفاقِ المنخر الداخل ذلك الارتعاد فتحدث راء غينية.**" [2]

فهذه الراء الغينية التي يصفها الشيخ الرئيس ، ارتعادها هو نفس ارتعاد الغين الذي يمتد إلى طرف اللسان.

هـ ــ الـــراء الـــلامـــيـــة :

يصفها ابن سينا قائلا : " **تحدث بأن لا يقتصر على ترعيد طرف اللسان ، بل تُرخى العضلات المتوسطة للسان ، وتشنج الطرفية حتى يحدث بعد طرف اللســـان تقبيـــب. ويعتمد بإرسال الهواء على ذلك التقبيب ، والرطوبة التي تكون فيه ، ويُرعد طرف اللسان.**" [3]

فالراء التي يصفها ابن سينا هنا ، هي التي يصفها القراء ، و التي تكون بأن يتصل طرف اللسان بأصول الثنايا ، دون أن يلتصق به ، و ينحرف جانباه إلى أعلى عند طرفه كالتقبيب تماما ، فيخرج الهواء مشكلا صوت الراء ، دون أن يحتاجوا في ذلك لتـــكراره أو طرق طرفه مع أصول الثنايا.[4]

---

1 / 344 ــ 349. وتفخم الراء إذا كانت مفتوحة أو مضمومة . ينظر : الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات ، ص 162 163 وما بعدها.

[1] ــ الأصوات اللغوية " إبراهيم أنيس " : ص 67 .

[2] ــ رسالة أسباب حدوث الحروف : ص 129 ــ 130.

[3] ــ نفسه : ص 90 ــ 91 ــ 130.

[4] ــ الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين : ص 203.

و ــ الـــزاي الـــشـــيـــنـــيـــة :

يُقرّ ابن سينا أنّها تُسمع في اللغة الفارسية عند قولهم " **زرف** " ، وهي " **شـــــــين لا تقوى ولكن تعرض باهتزاز سطح طرف اللسان و الاستعانة بخلل الأسنان** " [1]

والصوت ذاته ينعته في روايته الثانية باسم " الشين الزائية " ، يقول : " **هي شين تحدث عن تقريب اللسان من سطح الشّجر ، وتهزيز سطحه ، و إحداث الهمس فيه . فتبتدئ شينا عند جزء من اللسان ، و تُخْتَمُ زايا عند طرفه ، و لذلك تُسمع عند غليان الرطوبات اللزجة كالدّهن.** " [2]

هذا الصوت الذي وصفه ابن سينا ، وأقرّ أنّه يُسمع في الفارسية ، أشار إليه سيـــبويه في معرض حديثه عن ميل بعض العرب مضارعة الشين * الساكنة بالزاي إذا لحقتها الدال قياسا لها على الصاد ، وذلك في مثل قولهم : " **أشدق** " ، وعلة ذلك " **أنّ الـــشيـــــن استطالت حتى خالطت أعلى الثنيتين ، وهي في الهمس والرخاوة كالصاد و الســـــين وإذا أجريت فيها الصوت وجدت ذلك بين طرف لسانك ، وانفراج أعلى الثنيتين.** " [3]

ز ــ الـــزاي الـــظـــائـــيـــة :

في وصفها يقول ابن سينا : " **يكون وسط اللسان فيها أرفع و الاهتزاز في طرف اللسان خفي جدا ، وكأنه في الرطوبة فقط.** " [4]

هذا الصوت وإن لم ينسبه ابن سينا إلى لغة معينة ، يبدو أنه نطق الفرس للظاء العربية وهو نفس الظاء العامية ، التي تجري على ألسنتنا الآن ، أي التي لا نخـــرج معها طـــرف اللسان ، وهي في الحقيقة زاي مفخمة ، ولذلك حين وصف أصحاب القراءات قـــــراءة

---

[1] ــ رسالة أسباب حدوث الحروف : ص 89.

[2] - نفسه : ص 129.

* ــ تتأثر الشين بالدال بعدها فتجهر ، فتنطق من ثَم جيما سورية ، و ذلك كما في " أشدق " ينطقها بعض العرب " أژدق " " AŽDAK" . ينظر : أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ، ص 232.

[3] ــ الكتاب 4 / 479.

[4] ــ رسالة أسباب حدوث الحروف : ص 91 ــ 130 ــ 131.

الكسائي (ت 189 هـ) ، قالوا عنها : إشمام الصاد صوت الزاي .[1]
وتُعدّ هذه الظاء العامية من الأصوات العربية ، وإن لم يرمز لها القدماء [2] . فقراءة الكسائي لمثل قوله تعالى : ﴿ **حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ** ﴾ [3] يُجهر بالصاد في (يصدر) ، ومتى جهر بالصاد أصبحت تلك الظاء العامية . فلا فرق بين الصاد وهذه الظاء إلاّ في صفتي الجـــهر و الهمس ، أي أنّ الوترين الصوتيين يتذبذبان مع هذه الظاء ، ويصمتان مع الصاد ولكنهما فيما عدا هذا يتماثلان تماما. [4]

والصاد في (يصدر) حرف مهموس ، وبعدها حرف الدال المجهور. فـــــقربـــت الصاد من الدال بأن خُلط لفظها بالزاي ، لأنه حرف مجهور مثل الدال [5] ، فصار اللسان يعمل في حرفين مجهورين ، وحسُن ذلك لأنّ الصاد و الزاي من مخرج واحد ، ومن حـــروف الصفير . فالنطق الذي سماه ابن سينا **زايا ظائية** ما هو إلاّ **إشمام الصاد زايا** .

ح ــ الـــســـيـــن الـــزائـــيـــة والـــســـيـــن الـــصاديـــة:

إذا أثّر الجهر في السين سُمع الصوت زايا ، وهو ما أطلق عليه ابن سينا مصطلح " **السين الزائية** " التي تكثر في لغة أهل خوارزم ، وتحدث " **بأن تهيّـــأ الهيئة الـــتي عن مثلها تحدث السين ، ثم يحدث في العضلة الباطحة للسان ارتعاد كما يحـــدث في الزاي ، يلزم ذلك الارتعاد مماسّات خفيّة غير محسوسة يحتبس لها الهواء احتباسات غير محسوسة فتضرب السين لذلك إلى مشابهة الزاي.**" [6]

---

[1] ــ المفتاح في القراءات السبع " عبد الوهاب بن محمد القرطبي "، تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ط1 ، 1427هـ 2006م ، ص 79.

[2] ــ الأصوات اللغوية " إبراهيم أنيس " : ص 148 .

[3] ــ سورة القصص : الآية 23 .

[4] ــ الأصوات اللغوية " إبراهيم أنيس " : ص 149 .

[5] ــ العربية الفصحى و لهجاتها " حسام البهنساوي "، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، دط ، 1424هـ ــ 2004 م ــ ص 154 و ينظر : اللهجات العربية في التراث ــ القسم الثاني ــ النظام النحوي : ص 450.

[6] ــ رسالة أسباب حدوث الحروف : ص 89 ــ 129.

وإذا أثّر التفخيم في السين أصبح المنطوق صادا ، وهو ما عبّر عنه ابن سينا بمـــــصطلح " **السين الصادية** " حيث " **تحدث من استعمال جزء أكبر و أعرض و أبـــطـــن من اللسان** " [1]

والتقريب بين الأصوات الثلاثة جائز للعلاقة التي تربط بينها ، فلفظة " **السراط** " مثلا قرأت على ثلاثة أوجه : **تُليت بالسين و الصاد و الزاي.**

1 ــ قـــراءة " الـــسراط " بالـــســـين :

وهو الأصل ، ومن جاء على أصله لا يُســـأل عـــنـــه ، [2] و ذلك أنّ كـــلمة " **السراط** " لاتينية ، وهي في أصلها اللاتيني " Strata " [3] ، ثم دخلت إلى السريانية فكـــانت" **سراط** " ، ثم دخلت إلى العربية من السريانية .[4]

2 ــ قـــراءة " الـــســـراط " بالـــصـــاد :

من قرأ بالصاد أبدل من السين حرفا من مخرجها وهو الصاد . فالسين تتأثر بالأصـــوات المفخمة*بعدها فتفخم أي تصبح صادا. و ذلك أنّ حروف الاستعلاء ** تجتذب الســـين عن سفالها إلى تعاليهنّ ، و الصـــــاد مستعلـــية وهي أخـــت الســـين

---

[1] ــ رسالة أسباب حدوث الحروف : ص 88 ــ 129.

[2] ــ الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات "عبد البديع النيربابي" ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية ، دمشق ، ط1 1427 هـ 2006م ، ص 115 ، و ينظر : الحجة في القراءات السبع " الإمام ابن خالويه" ، تحقيق و شرح : عبد العال سالم مكرم دار الشروق بيروت ، ط1 ، دت ، ص 62.

[3] ــ فقه اللغات السامية " كارل بروكلمان" ، ترجمة : رمضان عبد التواب ، جامعة عين شمس ، مصر ، دط ،1397 هـ ، ص 58.

[4] ــ أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ، ص 234.

* ــ الأصوات المفخمة هي : الغين ، القاف ، الخاء ، الضاد ، الصاد ، الطاء ، الظاء.

** ــ الأصوات المستعلية هي : الصاد ، الضاد ، الطاء ، الظاء.

في المخرج [1] ، وفي الهمس والصفير و تُؤاخي الطاء في الإطباق . كما أنّ الصاد أخفّ على اللسان و أحسن في السمع ، و العرب تكره الخروج من تسفل إلى تصعد وتستخف الخروج من تصعـــد إلى تسفل. يقول سيبويه : " ... **فالانحدار أخف عليهم من الإصعاد ألا تراهم قالوا : صبقت وصقت و صويق ، لّما كان يثقل عليهم أن يكونوا في حال تسفل ، ثم يصعدون ألسنتهم أرادوا أن يكونوا في حال استعلاء ، وألاّ يعـــمـــلـــوا في الإصعاد بعد التسفل فأرادوا أنت تقع ألسنتهم موقعا واحدا . و قالوا : قســـوت و قست. فلم يُحولوا السين لأنهـــم انحدروا. فـــكـــان الانحـــدار أخـــف عليهـــم من الاستعلاء ، من أن يصّعدوا من حـــال التسفل.**" [2]

3 ــ قـــراءة " الـــســـراط" بالـــزاي :

الزاي تُؤاخي الراء في الجهر ، والمجهور مع المجهور أخفّ على اللسان [3]، كما أنّ الزاي تُؤاخي السين في الصفير وتُؤاخي الطاء في الجهر . [4] وكلا التنوعين الصاد و الزاي أصلهما السين ، لذلك قال ابن سينا : " **سين صادية** " ، و" **سين زائية** " ، لأنهما ــ أي الـــزاي والصاد ــ صوتان عارضان أوجدهما السياق في المجاورة الصوتية.

ط ــ الـــفـــاء الـــتي تـــكـــاد تـــشـــبـــه الـــبـــاء :

نسب ابن سينا هذا الصوت للغة الفارسية ، وضرب له مثلا بالكلمـــة الفـــارسية " **ڤزوني** " ، ويصفه قائلا : " **تفارق الباء بأنه ليس فيها حبس تام ، و تفارق الفاء بأنّ تضييق مخرج الصوت من الشفة فيها أكثر ، وضغط الهواء أشد ، حتى يكاد يحدث منه**

---

[1] ــ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها " أبي الفتح عثمان بن الجني" ، تحقيق : علي النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي ، القاهرة ، دط ، 1969م ، 2 / 168.

[2] ــ الكتاب : 4 / 130 .

[3] ــ اللهجات في التراث : القسم الثاني النظام النحوي " أحمد علم الدين الجندي" ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، دط 1398هـ ، 1978م ، ص .448

4 ــ الحجة في القراءات السبع : ص 63.

في السطح الذي في باطن الشفة اهتزاز." [1]

فهذا الصوت الذي يصفُهُ لنا ابن سينا يختلف عن صوتي الباء و الفاء . يختلف عن الصوت الأول " **الباء** " في أنّ الحبس ليس تاما ، و يختلف عن الصوت الثاني " **الفاء** " في أنّ تضييق مخرج الصوت معه يكون أكثر من الفاء ، و ضغـــــط الهواء معـــه أشد مما يُؤدي إلى اهتزاز ، وربما قصد ابن سينا بالاهتزاز الجهر.

هذه الفاء الشبيهة بالباء ، لم يجد لها الفرس عندما كتبوا لغتهم بحروف عربية ما يرمزون به لهذا الصوت ــ لأنه غير موجود أبجديتنا ــ فاختاروا له الرمز العربي الخاص بالـــــــواو ونطقوها (**V**) [*] ، كما هو الشأن في الألمانية الحديثة . فابن سينا هنا يعني ذلك الصوت المشهور في بعض اللغات الأوربية الحديثة وهو (V) .

أمّا وجه الشبه بينه و بين الباء ، أنّ كلاّ من الباء و هذا الصوت من المجهورات ، أي يتذبذب معهما الوتران الصوتيان ، ولا فرق بين الفاء وهذا الصوت ، إلاّ في صفتي الجهر و الهمس . فالفاء مهموسة ، ونظيرها المجهور هو هذا الصوت الفارسي. و الكتابة الحديثة لهذا الصوت هي : ــ **ڤ** ــ 2 .

ي ــ الـــــكاف الخـــــفـــــيفـــــة :

يستعملها العرب بدل القاف ، وهي" **تحدث حيث تحدث الكاف ، ولكن أدخـــــل وبحبس أضعف.**" [3]

والظّاهر على هذا الوصف أنّه ينطبق على ذلك الصوت الذي يقع بين الكاف والجيم فيأخذ من الكاف مخرجها تقريبا ، ومن الجيم الجهر ، و بهذا يُصبح كافا مجهورة (Ga)

---

[1] ــ رسالة أسباب حدوث الحروف ، ص 91 ــ 92 ــ 131.

[*] ــ يعتقد البعض أنّ صوت (V) المجهور هو نظير صوت الفاء العربي ، الذي لا نظير له في العربية من الأصوات المجهورة . ينظر : علم الصرف الصوتي " عبد القادر عبد الجليل" ، شركة الشرق الأوسط للطباعة ، دار أزمنة ، عمان ، الأردن ، ط1 1998م ص 45 .

2 ــ الأصوات اللغوية " إبراهيم أنيس " : ص 149 .

[3] ــ رسالة أسباب حدوث الحروف ، ص 74 ــ 75 ــ 127.

ڤافا ، و يرمز لها بالفارسية (گ)[1] . و لم يأت ابن سينا بمثال لهذا الصوت ، ولكنه فيما يبدو لم يستطع ذلك ، لأنّه قد يلتبس الأمر على الأفهام إذا ما استعير بحروف عربية تخلو منه ، لتقريب الصورة النطقية له فهو كاف مجهورة.[2]

وقد أشار إلى هذا الصوت سيبويه في كتابه في الجزء الرابع منه في معرض حـــديـــثـــــه عن الأصوات الأصول و الفروع (المستحسن منها و المستقبح) وضمّها في الفرع المستقبح وهي : **الكاف التي بين الجيم و الكاف.**[3]

وقول ابن سينا أنّ هذه الكاف هي التي يستعملها العرب بدل القاف مردّه إلى أنّه كان يوجد في اللغة السامية الأم صوت لهوي واحد هو القاف ، وله ألفونيمان في اللغات السامية ، الأول أنّه ينطق مهموسا ، فيكون من الناحية الفونولوجية المقابل المفخم للكاف والثاني أنه ينطق مجهورا فيكون من الناحية الفونولوجية المقابل المفخم للجيم .

ومن الصعب تحديد أصل هذا الصوت في اللغة السامية الأم ، هل كان مهموسا أم مجهورا ولكن نظرا لأنه لا يوجد فونيم مستقل لمقابل الجيم المجهورة ، فإنه يمكن أن نعتبر أنّ القاف تمثل فونيما مستقلا مقابلا للكاف المهموسة ، خاصة وأنّ النطق الصحيح لهذا الفونيم في اللغات السامية هو : النطق المهموس .[4]

وممّا يستخلص من روايات المعاجم أيضا أنّ البيئة البدوية كانت توثر " **الـــقـــاف** " في حين أنّ البيئة الحضرية قد آثرت الكاف. جاء في اللسان : قشط الجُلّ عن الفرس قشطا نزعه و كشفه ، و كذلك غيره من الأشياء. قال يعقوب : تميم و أسد يقولون : قشطت بالقاف ، وقيس تقول : كشطت. و ليست القاف في هذا بدلا من الكاف ، لأنهما لغتان

---

[1] ــ قواعد اللغة الفارسية ، ص 10.

[2] ــ نص الخفاجي (1069هـ) على أن العرب تجعل الصوت الذي بين الكاف و الجيم جيما أو كافا أو قافا. ينظر : شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل " شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي" ، قدم له : محمد كشاش ، منشورات : محمد علي بيضون دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1418 هـ ، 1998م ، ص 36.

[3] ــ الكتاب 4 / 432.

[4] ــ المدخل إلى علم الأصوات ــ دراسة مقارنة ــ "صلاح الدين صالح حسنين "، دار الاتحاد العربي للطباعة ، ط1 ، 1981م ص 144.

لأقوام مختلفين .[1] وجاء في المخصص : كشطت عنه جلده و قشطت . قال : وقـــيـــس تقول : كشطت وتميم و أسد تقول : قشطت .[2]

ك ــ الـــلام المـــطـــبـــقـــة :

في وصفها يقول ابن سينا : " **نسبتها إلى اللام المعروفة نسبة الطاء إلى التاء وتكـــثر في لغة الترك وربما استعملها المتفيهق من العرب.**" [3] وفي الرواية الثانية يـــــقـــول : " **يستعملها المتفيهق في لغة العرب على أنها اللام المعروفة بعيـــــنها.**" [4] فالفرق الذي بين اللام المطبقة و اللام العربية ، هو نفسه الفرق الذي بين الطاء و التاء فرق في الإطباق .

وحدوث هذا النوع من المسموعات ــ أي اللام المطبقة ــ راجع لسلطة السياق أثناء الكلام ، لأنه قد يتوفر لهذا الصوت ظروف معينة تُخرجُه عن أصله ، وهو الترقيق . وقد وصفه ابن سينا بالمطبق لأنه يحدث معه إطباق للسان كالإطباق الذي يحدث مع أصوات : **الصاد** ، و**الضاد** ، و**الطاء** ، و**الظاء** . فتُعدّ اللام المطبقة حينئذ أحد أصوات الإطباق ولكن هذا من حيث الصفة فقط.

ولعلّ ابن سينا يقصد باللام المطبقة اللام المفخمة [*] ، ومردّ ذلك إلى وضع اللســـــــان الذي يأخذ مع اللام المفخمة شكلا مقعرا كما هو الحال مع أصوات الإطباق واللام المطبقة .

---

[1] ــ لسان العرب مادة (قشط) 7 / 429 و مادة (كشط) 7 / 437.

[2] ــ المخصص " ابن سيده " ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، دط ، دت ، 13 / 277 .

[3] ــ رسالة أسباب حدوث الحروف ، ص 91.

[4] ــ نفسه : ص 131 .

[*] ــ اللام أصلها الترقيق ، و تفخم لسببين : معنوي و لفظي.

السبب المعنوي : مقصور على اسم الله تعالى ، إذا انفتح ما قبله أو انضمّ. فإذا انكسر ما قبله رققت اللام.

السبب اللفظي : فهو أحرف الإطباق ، فتفخم اللام إذا تقدمها الصاد ، الضاد ، الطاء ، الظاء ، بشرط أن تكون اللام مفتوحة ، وأن يكون أحد هذه الأحرف الثلاثة مفتوحا أو ساكنا. ينظر : الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات ، ص 168 ــ 171 نقلا عن شرح الهداية ، المهدوي ، 1 / 127 ــ 129. و ينظر : كتاب التيسير في القراءات السبع " أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني" عني بتصحيحه أوتويرتزل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1416هـ ــ 1996م ، ص 53 ، و ينظر : الكتز

فالفرق بين اللام المرققة و المفخمة هو نفسه الفرق الصوتي بين الطـــــاء و التـــــــــاء ولكن الرسم العربي لم يرمز إلى اللام المفخمة برمز خاص ، تختلف باختلاف الكلمـــــة و لهذا نعدّ نوعي اللام صوتا واحدا أو فونيما واحدا ، ولكن " الـــتاء" صوت مستقـــل عن " الطاء" تختلف الكلمة في معناها مع كل منهما ، و لهذا يعدّ كلّ منهما فونيما مستقلاّ.[1]

ل ــ المـــيـــم و الـــنـــون :

في وصفها يقول ابن سينا : **" قد يكون منهما ما يُقتصر فـــــيه على الدويّ الحـــادث من الهواء في تجويف آخرِ المنخر ، ولا يُرْدف حبسه عند الإطلاق ، بحفز للهـــواء إلى خارج ، وهذا كغنّة مجرّدة ."** [2]

لقد أشار ابن سينا في تعريفه هذا إلى غنّة الصّوتين ، ليلفت انتباهنا إلى أحوالهما أثنـــــاء التشكيل الصوتي ، فمن المعلوم أنّ صوت النون في السياق اللغوي تعتريه أربعة من ظواهر التشكيل الصوتي [3] ، **الإدغام** * ، و **الإظهار** ** ، و **الإبدال** *** **والإخفاء.** ****

في القراءات العشر "عبد الله بن عبد المؤمن ابن الوحيد الواسطي " ، تحقيق : هناء الحمصي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 1419هـ ــ 1998 م ، ص 98 ــ 99.

[1] ــ الأصوات اللغوية " إبراهيم أنيس" ، ص 66.

[2] ــ رسالة أسباب حدوث الحروف ، ص 92 ــ 132.

[3] ــ الإقناع في القراءات السبع " أبي جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري " ، حققه و علق عليه : أحمد فريد المزيدي ، قدم له: فتحي عبد الرحمن حجازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1419هـ ــ 1999م ، ص 153.

* ــ الحروف التي تدغم النون فيها خمسة : الراء ، واللام ، و الميم ، و الواو ، و الياء ، وإدغامها في الميم بغنة ، وأما إدغامها في بقية الحروف فيجوز بغنة و بغير غنة.

** ــ تظهر النون مع حروف الحلق إلاّ الألف : الهمزة ، و الهاء ، والعين ، والغين ، والحاء ، والخاء.

*** ــ تبدل النون ميما قبل الباء.

**** ــ تخفى النون عند خمسة عشر حرفا وهي : التاء ، و الثاء ، و الجيم ، و الدال ، و الذال ، و الزاي ، و السين ، و الشين و الصاد ، و الضاد ، و الطاء ، و الظاء ، و الفاء ، و القاف ، و الكاف.

إنّ ذكر ابن سينا لأصوات مثل : السين الصادية ، والسين الزائية والزاي الظائية والراء الغينية والراء اللامية ... وما إلا ذلك أمثلة جيدة لوصف تداخل الأصوات المحققة فعلا بســـبب بعض العمليات الفونولوجية مثل التماثل Assimilation و التخالف Dissimilation ، وانتشار بعض الملامح التمييزية وأثرها على تجاور الأصـــــوات ومواقعها ، فمثلا في صيغة " **استفعل** " لكلمة مثل **اصطبر** أصلها " **صبر** " ، ثم وضعت في صيغة **استفعل** فصارت **التاء طاء** بسبب تماثلها مع الصاد المطبقة قبلها ، فصارت **السين** إذن **سينا صادية** . و استخدام ابن سينا لمثل هذا الوصف " **سين صادية** " على هذا الترتيب و سيلة بارعة للإشارة بالكلمة الأولى إلى فونيم السين / **S** / ، و بالكلمة الثانية إلى متغير هذا الفونيم أو الألوفون **[S]** . و إشارة في الوقت نفسه لمصطلح المماثلة [1].

ورغم أنّ اهتمام ابن سينا بالأصوات لم يكن بدافع خدمة القرآن الكريم ، أو لصناعة معجم ، أو لتفسير ظاهرة وظيفية ، بل كان من باب العناد وركوب الجديد * ، إلاّ أنّه لم يكتف بدراسة المصطلحات الصوتية الفونيتيكية و التشكيلية ، بل درس مصطلحات الدراسة ما فوق التشكيلية أيضا .

ثـــانـــيـــا : مـــصـــطـــلـحات الـــدراسة ما فـــوق الـــتـــشكـــيـلـيـــة :

لقد اهتم النحاة و اللغويون بمصطلحات الدراسة التشكيلية : كالمماثلة و المخالفة والإمالة وما إلى ذلك من المصطلحات التي تبرز الظواهـــــر التـــعامـــلية بين الأصوات. وفي المقابل لم يهتموا الاهتمام ذاته بمصطلحات الدراسة ما فوق التشكيلية ، كالمـــــقطع والنبر و التنغيم . في حين اهتم الفلاسفة ومن بينهم ابن سينا بالمصطلحات الثلاثة ودرسوها بدقة متناهية ، وذلك لإدراكهم دورها و تأثيرها وقيمها اللغوية . فلقد أثبتت بحوث العلماء و دراساتهم التجريبية أهـــــمية الفونيمات التطريزية وجـــــدواها ، و أنه على الرغم من كونها فونيمات تطريزية ، أي أنها تحميلية تنميقية عند قياسها بالفونيمات الرئيسة ، إلاّ أنها لا تقل أهمية في دورها و تأثيرها وقيمها اللغوية عن تلك الفونيمـــــات

[1] ـــ ينظر : علم الأصوات عند ابن سينا : ص 75.

* ـــ ينظر : مدخل هذه المذكرة .

الرئيسة. [1]وقد تبنيت الترتيب الألف بائي في عرضي لمصطلحات الدراسة ما فوق التشكيلية مجردة إياها من الزوائد .

1 ــ المـــــقـــــطـــــع :

المقطع الصوتي Syllable مصطلح أساسي في علم الأصوات التشكيلي Phonology ، فهو الوحدة الأساسية للكلمة ، و يستعمل كجزء من مستوى التحليل الفونولوجي. [2] وقد لاحظ الفلاسفة ــ كما يمكن لكل امرئ أن يلاحظ ــ أنّ الكـــلام لا يمكن أن يتألف كله من أصوات صائتة فقط ، إذ لا يمكن للإنسان أن يتلفظ بالأصوات الآتية (**آيْ وْيْ ــ آوْ ــ آيْ**) ، كما لا يمكن أن يتألف الكلام كله من أصوات صامتة فـــــقـــط إذ من المتعذر علينا جميعا أن نلفظ هذه الأصوات (**شْفْحْشْدْ**) الكلام إذن يـــتـــألـــف من صوامت تتلوها صوائت تتبعها صوامت ، وهكذا .[3]

والفم أثناء الكلام ينفتح و ينغلق ، ففي انفتاحه تحدث الصوائت ، وفي انغلاقاته تحدث الصوامت . ولا يُمكنه أن يظلّ منفتحا ولا أن يظلّ منغلقا ، وقد حلل اللغويون الكلام إلى وحدات صوتية أكبر من وحدات الأصوات المفردة دعوها المقاطع ، ولكن لم يقدموا دراسة علمية منهجية حول المقطع * بمفهومه الاصطلاحي المعاصر ، و لم يعرضوا لأقسامه

---

[1] ــ الدراسات الصوتية عند العلماء العرب و الدرس الصوتي الحديث ، ص 151 ــ 152.

[2] ــ علم اللغة بين التراث و المعاصرة " عاطف مذكور" ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، دط ، 1987م ، ص 127.

[3] ــ الوجيز في فقه اللغة ، ص 254 .

* ــ تردد مصطلح " المقطع " بين ثنايا مؤلفات النحاة و اللغويين ، لكنه حمل أكثر من معنى ، فمثلا الفراء (ت 207ه) يستعمل مصطلحي " حروف المقطع و الحروف المقطعة " قاصدا بهما الحروف المفردة في مقابل المتصلة أو المجموعة. و الفراء في معرض حديثه عن عامل الرفع في لفظة (كتاب) من قوله تعالى : ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ.﴾ ــ سورة هود الآية 1 ــ أنّ العامل في هذا اللفظ " حروف الهجاء التي قبله ، كأنك قلت : الألف و اللام و الميم و الصاد من حروف المقطع كتاب أنزل إليك مجموعا " . ينظر : معاني القرآن " الفراء"، 1 / 368. ويعلل ابن قتيبة (ت 270 ه) تصدير الله عز وجل بعض السور بتلك الحروف المقطعة بقوله : " يجوز أن يكون الله عز وجل أقسم بالحروف المقطعة كلها و اقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها فقال : الم وهو يريد جميع الحروف المقطعة " . ينظر : تأويل مشكل القرآن " مسلم بن قتيبة" ، شرحه و نشره : السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط3 ، 1981م ، ص 300. وابن جني يعرض لمصطلح " المقطع " في معرض حديثه عن الصوت قاصدا به المخرج ، يقول : " الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق و الفم و الشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده و استطالته ، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا".ينظر : سر صناعة الإعراب 1 / 6. فابن جني يسمي المقطع حرفا . ومن المتعارف عليه أنّ المقطع هو مخرج الحرف لا الحرف في حدّ ذاته . ينظر : مناهج البحث في اللغة ، ص 164 ــ 178 . ومن العلماء المعاصرين من ينكر على

وأحواله و أنواعه ، و لم يُفيدوا من معطياته في تقعيد مستويات اللغة * ، و لكنه يُصادفنا في التراث العربي إدراك بعض العلماء الفلاسفة لمفهوم المقطع ، أمثال : الفارابي (ت 339هـ) القاضي عبد الجبار الأسدي (ت 415 هـ) وابن سينا (ت 428 هـ) و ابن رشد (ت 595هـ) ، حيث أنهم عرفوا المقطع ، وأدركوا أنه يتألف من الحرف المصوت (الصائت) وغير المصوت (الصامت) .

وقد اختلفت وجهات نظر العلماء حول تعريف المقطع باختلاف اتجاهاتهم ومناهجهم في البحث. فثمة اتجاه يعرف المقطع أكوستيكيا و اتجاه آخر يعرفه نطقيا واتجاه ثالث يعرفه وظيفيا فونولوجيا. [1]

ويرجع الاختلاف حول تعريف المقطع إلى أنّ الأجهزة التي يُمكن الاعتماد عليها في الدراسات الصوتية ، لم تكن حتى هذا الوقت تمكّن العلماء أو تتيح لهم القدرة على أن يعيّنوا حدود المقاطع على المنحنيات و الرسوم التي يحصلون عليها [2] والذي يهمنا من جلّ تعريفات المقطع ، ما عرّفه به ابن سينا .

ينصّ ابن سينا بالتصريح و التحديد عل فكرة المقطع انطلاقا من تتبعه لأجزاء الحدث الكلامي ، التي يضبطها في سبعة وفي أعلى درجات السلم يذكر مصطلح "المقطع" ويُفرعه إلى ممدود و مقصور ، فيتطابق تحديده مع ما تضبطه الصوتيات الحديثة من مقاطع قصيرة وأخرى طويلة ، يقول : **" وأما اللفظ و المقالة فإنّ أجزاءه سبعة : المقطع الممدود والمقصور كما علمت ، ويؤلف من الحروف الصامتة ــ وهي التي**

العرب معرفتهم بالمقطع معللا ذلك بأنه مفهوم غربي. ينظر: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث " الطيب البكوش" ، نشر و توزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ، تونس ، ط2 ، 1987م ، ص 77(بتصرف).

* ــ لكن هذا لا يعن أنّ الدراسات الصوتية عند العلماء العرب تخلو تماما من الإشارة إلى المقطع وماهيته ، فنظام العروض الذي وضعه الخليل بن أحمد ، وإن أقامه على أساس التفعيلات ، إلا أنّ هذه التفعيلات تعتمد بدورها على الأساسين اللذين يعتمد عليهما المقطع وهما : الصوامت و الصوائت.

1 ــ الدراسات الصوتية عند العلماء العرب و الدرس الصوتي الحديث : ص 208 .

2 ــ علم الأصوات " بارتيل مالبرج " : ص 154 ــ 155 .

لا تقبل المدّ البتة مثل الطاء و الباء والتي لها نصف صوت وهي التي تقبل المـــــد مثل السين و الراء ــ والمصوتات * الممدودة التي يسميها مدّات و المقصورة وهي الحركات وحروف العلة." [1]

يفهم من كلام ابن سينا هذا ، أنّ المقطع يُؤلف من الحروف الصامتة و المصوتات أي يتكون من حرف و حركة ، سواء مدّت أم لم تمد. وهذه الحقيقة كان قد اهتدى إليها الفارابي من قبل ***** ، حيث نصّ على أنّ **" كلّ حرف غير مصوت أتبع بمصوت قصير قُرِنَ به ، فإنه يسمى المقطع القصير ، و العرب يسمونه الحرف المتحرك ، وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل فإنا نسميه المقطع الطويل ."** [2]

وإذا عدنا إلى معاجم اللغة بُغية الوقوف على ما حملته في مادة (قطع) نجد أنّ مقطع كل شيء و منقطعه : آخره حيـــــث ينقطع كمقـــاطع الرمال والأودية الحرة وما أشبهـــها ومقاطيع الأودية : مآخيرها ، ومنقطع كل شيء : حيث ينتهي إليه طرفه والمقطع : الآخر و الخاتمة . و مُقطّعات الشيء : طرائقه التي يتحلل إليها و يتركب عنها كمُقطّعات الكلام . و مُقطّعات الشعر ومقاطيعه : ما تحلـــــل إليه و تركب عـــنـــه من أجزائه التي يسميها عروضيوا العرب الأسباب و الأوتاد . [3] فمعنى المقطع الوارد عند ابن سينا يقترب كثيرا من المعنى المعجمي ، فنقل ابن سينا الدلالة العامة وهي ما يتحلل إليه الشيء وما يتركب عنه من أجزائه إلى الدلالة الخاصة عند استعماله اللفظة في المجال الصوتي وهـــــي كون كل مقطع يُؤلّف من صامت ومصوت. وقد اكتـــــفى ابن سينا

---

* ــ اللفظة معطوفة على الحروف الصامتة ، بحيث يكون النص : " ويُؤلف المقطع من الحروف الصامتة و المصوتات ، أي أنّ المقطع يتكون من حرف وحركة ، سواء مدّت أم لم تُمد ." ينظر : التفكير اللساني في الحضارة العربية ، ص 262 .

[1] ــ الشفاء ــ المنطق ــ الفن التاسع ــ الشعر : ص 65.

** ــ يعود الفضل في ظهور مصطلح المقطع إلى الفارابي ، فهو أول من ذكره من الفلاسفة. ينظر المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ص 274.

[2] ــ كتاب الموسيقى الكبير ، ص 1075.

[3] ــ ينظر : مقاييس اللغة مادة (قطع) 5 / 102 و لسان العر ب مادة (قطع) 8 / 331 ــ 332 ، ومعجم متن اللغة 4 / 600 والمعجم الوسيط ص 1345 .

في عرضه لهذا المصطلح على الاسم مفردا (**المقطع**) .[1]

2 ــ الـــــنـــــبـــــر :

إنّ إصدار النفس عند خروجه من القصبة الهوائية ، لا يحدث بصورة منتظمة متساوية فتصريف كمية الهواء غير متصل ، لأنّ العضلات التي تهيمن على المنفاخ الصوتي تُعجّل حركته تارة ، وتبطئ فيها تارة أخرى . فالعمل غير منتظم ، ولذلك يُلاحظ دائـــــما أنّ واحدا أو أكثر من الأصوات في الكلمة المنطوقة ، أو الجـــملة يظـــهـــر في السمع أكثر وضوحا من جيرانه المباشرين ، فاللغة فيها قمم و أغوار ، ولكن درجات الوضوح عند مختلف القمم ليست متساوية ، و بعبارة أخرى ، فإنّ مقاطع الكلمة أو الجملة تُدركُ بوضوح أكثر من غيرها ، ودرجة القوة التي ينطق بها الصوت أو المقطع هي ما يعرف بالنبر Stress .[2]

والنبر نوع من الفونيمات الثانوية ، أو الفونيمات فوق التركيبية * ، وملاحظة هـــــــذه الأخيرة تكون أصعب ــ عادة ــ من ملاحظة الفونيمات الأولية ، وذلك لأنها لا تظهـــر إلاّ في التراكيب و الاستعمالات الخاصة للأشكال الصوتية البسيطة . ولنا أن نسأل هنا هل تحدّث ابن سينا عن مصطلح النبر فيما تحدّث عنه من ظواهر صوتية ؟ و إن كان فَعَلَ فما تعريفه له ؟ وما مقدار عنايته به ؟

تعرّض ابن سينا لمصطلح " **الـــــنبـــر** " في سياقات ثلاثة من آثاره . فلقد تـــطرّق

---

[1] ــ الشفاء ــ المنطق ــ الفن التاسع ــ الشعر ــ ص 65 .

[2] ــ أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ، ص 157.

* ــ يقسم العلماء الفونيمات إلى قسمين :

أ ــ الفونيمات الرئيسة أو التركيبية Primary : ونعني بها تلك الوحدات الصوتية التي تكون جزءا من أبسط صيغة لغوية ذات معنى منعزلة عن السياق أو قُلْ : الفونيم الرئيسي هو ذلك العنصر الذي يكون جزءا أساسيا من الكلمة المفردة وذلك كالباء و التاء و الثاء...الخ

ب ــ الفونيمات الثانوية أو فوق التركيبية Secondary وهي ظاهرة أو صفة صوتية ، ذات مغزى في الكلام المتصل ، وهو بعكس الفونيم الرئيسي ، لا يكون جزءا من تركيب الكلمة ، و إنما يظهر و يلاحظ فقط حين تضم كلمة إلى أخرى ، أو حين تستعمل الكلمة الواحدة بصورة خاصة ، كأن تستعمل جملة . و تمثل الأبجديات المكتوبة النوع الأول ، في حين يمثل النبر و التنغيم النوع الثاني . ينظر : علم اللغة العام ــ الأصوات ــ ص 161 ــ 162 .

لقضية " **الزينة** " في الكلام في الفن التاسع من جملة المنطق ضمن كتاب الشفاء وهـــو الفـــن الموسوم بالشعر ، و بينّ أنّ الكلام يزدوج تركيبه من الحروف وممّا يقتـــرن بـــه ـــ إلى جانب الحروف ـــ " **من هيئة و نغمة و نبرة** " [1] على حدّ تعـــبيـــــــره.

ويثير ابن سينا نفس الموضوع في أثره الخاص بالبحث في " أسباب حدوث الحروف" فيوضح من جديد ازدواج تركب الحدث الكلامي من الناحية الصوتية إذ هو متـــكون من نفس التموج منضافا إليه حال التموج ، وهذه الحال هي التي تخصّ تنبير الأجزاء وصَبْغَ أجراسها بالنغم المخصوص ، و هكذا يبرز ما يسميه ابن سينا : " **الحدة والثقل** " [2] يقول : " **أمّا نفس التموج فإنه يفعل الصوت ، وأمّا حال المتموج في نفسه من اتّصال أجزائه وتملسها أو تشظيها و تشذبها فيفعل الحدة و الثقل ، أما الحدة فيفعلها الأولان وأما الثقل فيفعله الثانيان.**" [3]

فمن عوامل النصاعة في الأصوات " **الحدة و الثقل** " ، و الأسباب المتحكمة فـــــيهما و العوامل المؤثرة في زيادتهما و نقصانهما يُحددها ابن سينا بقوله : " **الحدة سببها القريب تلزز و ملاسة سطح و تراصّ أجزاء من موج الهواء الناقل للصوت ، وأنّ الثقل سبـــبه أضداد ذلك .**" [4]

ثم يستوفي موضوع النبرة حظّه عند ابن سينا في الفن الثامن من جملة المنطق الموسوم بالخطابة ، وأول ما يبرز في هذا المضمار اعتباره " **نـــغم الجملة ذا وظـــيفة تمـــييزية** " من حيث الدلالة الإبلاغية ، فيما يسميه " **النبرة** " ، يتحدد طابع الجملة ، إن كان نداءا أو تعجبا أو سؤالا 2 ، بل إنّ للنبرة دورا وظائفيا على صعيد البنية النـــحوية أحـــــيانا ولا سيما " **في أقسام اللفظ المركب ، فيجب أن لا تحلل هذه الأقاويل الطـــــــويلة إلاّ النبرات التي لا يُنغّم فيها ، وإنّما يُراد بها الإمهال فقط ، وربما أحتيج أن تخـــلـــل**

---

[1] ـــ الشفاء ، المنطق ـــ الفن التاسع ـــ الشعر : ص 67 .

[2] ـــ التفكير اللساني في الحضارة العربية : ص 265.

[3] ـــ رسالة أسباب حدوث الحروف : ص 59 ـــ 105 .

[4] ـــ نفسه : ص 59 .

الألفاظ المفردة إذا كانت في حكم القضايا ، خصوصا حيث تكون على سبيل الشرط والجزاء كقولهم : لّما التمسَ ، أعطيت ، فيقول : بين (التمس) و بين (أعطيت) نبرة إلى الحدة وهو عند الشرط . و بعقب (أعطيت) نبرة أخرى إلى الثقل ، وهي للجزاء." [1]

وهكذا ، رغم التلابس الحاصل عند ابن سينا بين مفهوم النبرة ـــ على مستوى الكلمة ـــ ومفهوم النغم ـــ على مستوى الجملة ـــ فإنه يحاول تدقيق القضية بمقارنة داخلية بين عناصرها ، فإذا هو يُفرّع النغم إلى ثلاث مكونات " **الحـــدة والثـــقـــــــل والنبرات** " .[2]

ولكنه عند تحديد مفهوم النبرة يتوصل إلى الكشف الفني الدقيق ، فـــــــيكاد يـــــأتي على خصائصها كما تضبط اليوم لسانيا ، نسمعه يقول : " **ومن أحوال النغم : النبرات وهي هيئات في النغم مدية غير حرفية ، يبتدئ * بها تارة ، وتخلل الكلام تارة، و تعقب النهاية تارة ، وربما تُكثّر في الكلام ، وربما تُقلل ، و يكون إشارات نحو الأغراض وربما كانت مطلقة للإشباع ، ولتعريف القطْعِ ... و لتفخيم الكلام ، وربما أعطيت هـــذه النبرات بالحدة و الثقل هيئات تصير بها دالة على أحوال أخرى من أحوال القائل أنه متحيّر أو غضبان ، أو تصير به مستدرجة للمقول معه بتهديد أو تضرع أوغير ذلك. وربما صارت المعاني مختلفة باختلافها مثل أنّ النبرة قد تجعل الخبر استفهاما و الاستفهام تعجبا ، وغير ذلك. وقد تُوردُ للدلالة على الأوزان والمعادلة *** ، وعلى أنّ هذا شرط و هذا جزاء ، وهذا محمول وهذا موضوع."** [3]

---

[1] ـــ التفكير اللساني في الحضارة العربية : ص 265 ـــ 266 .

[2] ـــ نفسه : ص 266 .

* ـــ الفعل منسوب إلى الغائب المعلوم ، ويخص كل من يتكلم .

** ـــ يعني أنّ النبرة أو النغم يكون لهما وظيفة الإبراز الجمالي الصرفي. ينظر : التفكير اللساني في الحضارة العربية ، 266 .

[3] ـــ التفكير اللساني في الحضارة العربية ، ص 266 نقلا عن الخطابة لابن سينا ص 199 ، و الموضوع في لغة المناطقة هو المسند إليه في عرف النحاة و المحمول هو المسند.

بل أكثر ممّا تقدّم كلّه ، فلقد أورد ابن سينا فكرة مـــفاذها أنّ الموسيقى من خلال نشأتها في سياق تطور المجتمع ، تحقق فيه و ظيفة تواصلية هامة ، تساعد على التفاهم المتـــبادل بين الناس . و يعتقد ابن سينا أنّ أحد شروط نشأة و تطور الموسيقى هو المحاكاة ، التي تنتج عن التغير الفني لنبرة الصوت البشري.[1]

والنبر* هو المكافئ الاصطلاحي للهمز عند العرب ، وأنّ كليهما يتطلب نشاطا مـــتحدا من أعضاء النطق : الرئتان ، عضلات الصدر ، أقصى الحنك ، الشقتان ، اللسان ممّا يؤدي إلى تعاظم مساحة السعة في الذبذبات الصوتية . 2 و ابن سينا أدرك الضـــّغـــط أو الهمز أو النبر الذي يتطلبه إصدار صوت ما . وفطن إلى ذلك حين عبّر عن تلك العملية العضوية التي تحدث في الحنجرة ، والمطلوبة لإصدار صوت الهمزة ، فوصفها **" بأنّها تحدث من حفز قوي من الحجاب و عضل الصدر لهواء كثير ، ومن مقاومة الطرجهالي**

---

[1] - ينظر : مجلة التراث العربي ، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ، من مقال بعنوان : ـــ ابن سينا و الموسيقى ـــ "ألكسندر جمايف " ، ترجمة : نايف أبو كرم ، دمشق ، العددان : 15 رجب 1404هـ و 16شوال 1404هـ ، ص 224 .

* - لم يذكر النحاة القدماء شيئا عن مصطلح النبر في العربية ، على الرغم من حرصهم الشديد على دراسة كل جوانبه ، ما عظم منها و ما دق . و يظهر أنّ إغفالهم لهذا الجانب ناشيء عن عدم شعورهم بأيّ أثر للنبر في تحديد معاني الكلمات العربية. ينظر : الوجيز في فقه اللغة ، ص 264. و لكن رغم ذلك فقد عبرت العربية عن مصطلح " النبر" بمسميات مختلفة : الهمز ، العلو ، الرفع ، مطل الحركات ، الارتكاز ، الإشباع ، المد ، التوتر ، التضعيف. ينظر : الأصوات اللغوية " عبد القادر عبد الجليل "، ص 241 . فابن جني مثلا لم يذكر مصطلح النبر ، و لكنه ذكر أربعة مصطلحات تتفق في معانيها اللغوية حول تطويل الصوت ورفعه وهي : (التطويح التطريح ، التفخيم ، التعظيم) يقول : " وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها . وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم : سير عليه ليل ، وهم يريدون : ليل طويل . وكأنّ هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها ، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح و التطريح و التفخيم و التعظيم ، ما يقوم مقام قوله : طويل أو نحو ذلك ، وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته وذلك أن تكون في مدح إنسان و الثناء عليه فتقول : كان و الله رجلا ! فتزيد في قوة اللفظ ب (الله) هذه الكلمة ، وتتمكن من تمطيط اللام و إطالة الصوت بها (و عليها) أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما ، أو نحو ذلك . وكذلك تقول : سألناه فوجدناه إنسانا ! وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه فتستغني بذلك عن وصفه بقولك : إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك . وكذلك إذا ذممته ووصفته بالضيق قلت : سألناه وكان إنسانا ! وتزوي وجهك و تقطبه فيغني ذلك عن قولك : إنسانا لئيما أو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك . ينظر : الخصائص ، 2 / 370 ـــ 371. ففي هذا التقاء مع معنى النبر بمفهومه الحديث. ينظر: مجلة التراث العربي من مقال . بعنوان : ـــ الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية و المعاصرة ـــ "عبد الفتاح المصري " ، ص 267. ورغم هذا إلاّ أنّ هناك من ينكر على النحاة العرب معرفتهم للنبر مطلقا حجته في ذلك أنه مفهوم غربي مثل المقطع . ينظر : التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ، ص 80

[2] ـــ علم الصرف الصوتي ، ص 113 .

الحاصر زمانا قليلا لحفز الهواء ، ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة ، وضغط الهواء معا." [1]

فإشارة ابن سينا هنا إلى الهمز* الذي استخدمته العرب لمدلول واحد دون التـــــفريق بينه وبين النبر صواب ، **فالهمز يعني الضّغط ، والنبر الضغط والارتكاز.** 2 فثمّة علاقة بين الهمزة و النبر من الناحية المنطقية عموما وخصوصا ، تتمثل في وجهين : فالهمزة في الغالب نبر ، وهي في القليل غير نبر ، إذ قد تتحول أحيانا بفعل التطور اللغوي التاريخي إلى فونيم Phoneme. [3]

ويرجع اختيار ابن سينا لهذه الكلمة (الهمز ، النبر) رمزا ضابطا لتلك الدلالة العلميـــة المعروفـــة إلى ما لاحظه من علاقة تماس بين معنييها اللغوي والاصطلاحي العارض الذي آلت إليه عند توظيفها في الميدان الصّوتي . جاء في اللسان : الهمز مثل الغمز و الضغط . ومنه الهمز في الكلام لأنه يُضغط ، وقد همزت الحرف فانهمز . و الهمزة من الحروف معروفة وسميت الهمزة لأنها تُهمز فَـــتـــُهتُّ فتنـــهمز عن مخرجها ، يقال : هو يهتّ هتّا إذا تكلم بالهمز.[4] والنبر بالكلام الهمز ، و النـــبر مصدر نبر الحـــرف ينبره نـــبرا : همـــزه وفي الحديث قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : يا نبي الله . فقال : لا تنبر باسمـــي. والنبر همز الحرف. و لم تكن قريش تهمز في كلامها ، ثم ذكر : ورجل نبّار : فصيح الكلام ونبّار بالكلام : فصيح بليغ . ابن الأنباري يقول أنّ النبر عند العرب : ارتفاع الصوت يقال : نبر الرجل نبرة : إذا تكلم بكلمة فيها علو." [5]

فالنبر بهذا المفهوم الأخير هو الهمز ، و ذهب أئمة اللغة في كلامهم إلى أنّ الرجـــل الذي

---

1 ــ رسالة أسباب حدوث الحروف : ص 72 ــ 114 .

* ــ سيبويه أيضا يربط الهمز بالضغط ، يقول عن صوت الهمزة أنها " نبرة في الصدر تخرج باجتهاد ." ينظر : الكتاب 4 / 489 .

2 ــ الأصوات اللغوية " عبد القادر عبد الجليل " : ص 239 .

3 ــ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث " عبد الصبور شاهين "، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، دط ، دت ، ص 28 .

4 ــ لسان العرب مادة (همز) 5 / 493 ــ 494.

5 ــ ينظر : مقاييس اللغة مادة (نبر) 5/ 380 و لسان العرب : مادة (نبر) 5 / 221 ــ 222 ، ومعجم متن اللغة 5 / 383

ينبر يسمى نبّارا ، وهو فصيح الكلام و بليغ فيه . وإذا لم يذكروا عـــلاقة الهمـــز بالنبر فهو من قبيل تحصيل الحاصل . فحســـبنا من كلامهم في مـــادة (نـــبر) عن العلاقـــة بين الهمز و النبر. و أهم ما نخلص إليه من النصين أنّ : **الهمز يساوي الضغط يســـاوي النبر**[1] ، وهذا الذي ذهب إليه ابن سينا. وتردد لديه مصطلح النبر في وجهين : المصدر مفردا (النبرة)[2] وجمعا (النبرات)[3] .

3 ــ الـــنّـــــــغـــمـــــة :

ليس التنغيم هو النبر كما قد يظنّ بعضهم ، فالنبر هو ضغط على مقطع من المقاطع قصد وُضوحه ، وهو بهذا الوصف عامل مهمّ من عوامل التنغيم ، و نغمات الكلام دائما في تغيّر من أداء إلى آخر ، ومن موقف إلى موقف ، ومن حالة نفسية لأخرى .[4] والتنغيم أحد العناصر الهامة التي يستمد منها السّامع معلومات قيّمة ، تتعلق بمدلولات الكلام المنقول إليه ، و هذا ما أشار إليه ابن سينا في خضمّ معالجته للمصطلح.

واستعمل ابن سينا مصطلحي النغمة أو النبرات * للوصول إلى حقيقة مصطلح التنغيم** وهو في هذا ينحُو منحى بقية الفلاسفة . حيث اهتمّ هؤلاء بدراسة النغم الذي

---

[1] ــ نظر : النبر و التنغيم في اللغة العربية ــ دراسة وصفية و ظيفية ــ رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير ــ "عبد الحكيم والي دادة" كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، تلمسان ، 1418 ــ 1419 هـ ، 1997 ـــ 1998 م ، ص 11 .

[2] ــ الشفاء ــ المنطق ــ الفن التاسع ــ الشعر : ص 67 وينظر : التفكير اللساني في الحضارة العربية : ص 266 نقلا عن : الخطابة لابن سينا ص 199.

[3] ــ التفكير اللساني في الحضارة العربية : ص 266 نقلا عن الخطابة لابن سينا : ص 199 .

[4] ــ ينظر : فن الكلام : ض 262 ــ 263 .

* ــ يستخدم الفارابي مصطلحات (النغم ــ و النغمة ــ واللحن) للدلالة على المعنى نفسه ، وهو ما يعرف بالتنغيم . ينظر : الدرس الصوتي عند الفلاسفة المسلمين : ص 200.

** ــ العرب لم يصرحوا بمصطلح " التنغيم " ، و لكن أشاروا إليه . من ذلك ما نصّ عليه الجاحظ بقوله : " و الصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع ، وبه يوجد التأليف ، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا أو منثورا إلاّ بالتقطيع و التأليف وحسن الإشارة باليد و الرأس ومن حسن البيان باللسان مع الذي يكون مع الإشارة من الدل و الشكل و التفتل و التثني ". ينظر : البيان و التبيين ، 1 / 79. و إشارة الجاحظ هاهنا دليل أهمية التنغيم في السياقات التنظيمية للمتكلم ، وهي بعد ذلك التفاتة واضحة المعالم إلى الجرس الصوتي الذي يرافق الحركة أثناء تأدية الفعل الكلامي . و يلتمس الجاحظ في تيار الكلام الذي يتطلب الوضوح أن يكون مقرونا بما اصطلح عليه " الدل" ، " التفتل " ، " التثني " ، مما له قدرة على إضفاء حالة البيان و إكساب السياق

كان مدخلا مهما عندهم لدراسة التنغيم والنبر و المقطع الصوتي ، وهي أمور بنيت عليها هيأة الكلمة في العربية ، فضلا عن تفسيرها للكثير من الغموض المعرفي في بناء الكلمة العربية وهو أمر كشف الغطاء عن السبب الذي جعل صور بعض الكلمات بالشكل الذي وصل إلينا. [1]

ويعلل ابن سينا سبب حدوث النغم أو النبرات إلى اختلاف الأصوات في الحـــــدة والثقـــل يقول : " **أمّا حال المتموج في نفسه من اتّـــصال أجزائه و تملّسها أو تشظيها و تشذبها فيفعل الحدة و الثقل** . " [2] ويوضح الأسباب الفيزيائية الكامنة وراء حـــــدوث النـــغم يقول : " **إنّ أسباب سبب الحدة صلابة المقـــاوم المـــقـــــــروع أو ملامســـته أو قـــصره أو انحرافه أو ضيقه إن كان مخلص هواء ، أو قربه من المنفخ إن كان أيضا مخلص الهواء . وأنّ أسباب سبب الثقل أضداد ذلك من اللين و الخشونة والطول و الرخاوة و السعة و البعد ، و أنّ كلّ واحد من هذه الأسباب يعرض له الزيادة و النـــقـــصان وأنّ زيادتها تقتضي زيادة المسبب لها ، و نقصانها يقتضي نقصان المسبب لها.**" 2

وابن سينا أدرك أنّ النبر و التنغيم لا ينفكّان عن بعض ، فأسند إليهما دورا وظيفيا يتمثل

قبولا حسنا ، وقوة في إيصال الدلالة ، وإسراعا في الفهم. ينظر : الأصوات اللغوية " عبد القادر عبد الجليل" ، ص 254 ــ 255.
وابن جني أيضا أشار إلى التنغيم دون ذكر المصطلح ، وذلك في معرض حديثه عن حذف الصفة ، حيث ربط التنغيم بالنبر يقول : " و كذلك إذا ذممته ــ الرجل ــ ووصفته بالضيق ، قلت : سألناه ، و كان إنسانا : و تزوي وجهك ، و تقطبه ، فيغني ذلك عن قولك إنسانا لئيما أو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك " ينظر : الخصائص 2 / 371 . فإلماء الجملة بإشاحة الوجه بعد التطويح و التطريح و تمطيط اللام و إطالتها ، يفهم منه أنه وقع عليها أكثر من تغيير موسيقي هو نوع من التنغيم للجملة . في حين عبر ابن يعيش (ت 643هـ) عن التنغيم بمصطلح " الترنم " وهو عبارة عن مد الصوت و إطالته. ينظر : شرح المفصل ، 2 / 13.

1 ــ المدارس الصوتية عند العرب ــ النشأة والتطور ــ ص 15 .

2 ــ رسالة أسباب حدوث الحروف : ص 59 .

في إظهار انفعالات المتكلم ، وما يودُّ إيصاله إلى المستمع من معاني و أفكار ، و يُشـــــير إلى الملامح التمييزية بين المعاني النحوية للنغم ، نسمعه يقول : **" وربمـــا أعطيت هـــذه النبرات بالحدة و الثقل هيئات مستدرجة للمقول معه ، بتهديدٍ أو تضرّع أو غير ذلك. وربما صارت المعاني مختلفة باختلافها مثل : أنّ النبرة قد تجعل الخبر استـــــفهـــــاما والاستفهام تعجبا وغير ذلك ، وقد تورد للدلالة على الأوزان و المعادلة ، وعلـــى أنّ هذا شرط ، وهذا جزاء ، وهذا محمول ، وهذا موضوع."** [1]

واستعمل ابن سينا مصطلح **" اللحن "** * ، حيث ربط كمال اللحن الذي يُمتع صاحبه بكمال العناصر التي يتشكل منها **[المقاطع ــ المقامات ــ الإيقاعات]** . يقول **" إنّ تأليف الصوت له خاصية ليس لسائر التأليفات ، وذلك لأنّ النـــغـــمة الأولى من النغمتين المؤلفتين مثلا تهشّ إليها النفس هشاشتها لكلّ جديد من المستحبات الواصلة إليها ، ثم تتحرك بعد انخزالها لما يسرع فواته ، ممّا يعزّل النفس حصوله ، ثم يتدارك ذلك الانخزال و يتلافى ذلك الانكسار طلوع نغمة أخرى كأنها تلك الأولى معاودة في معرض آخر له نسبة مقبولة إلى المعرض الأول. وقد علمت أن أؤكّد أسباب اللذة إحساس بملائم بغتة على تأذ من فقده ، فيكون ما يعرض في الصوت من زياراته للنفس بغتة ، ثم وداعه إياها فجأة ، ثم تداركه و حثّه الوداع ببهجة الرجوع على هيئة حبيبة إلى النفس أعني النظام ، أجل الملذات النفسانية ."** [2]

ويشير ابن سينا إلى مصطلحين هامين لهما علاقة مباشرة بالتناغم و الصوت وهما : **التـــــــــوافق و التنافر**** . ففي كتاب **" النجاة "** حين يتحدث عن الصوت المستخدم في الموسيقى ، يُحدده بوصفه نغما له مميزات صوتية عالية ، و استمرارية زمنية

---

[1] ــ التفكير اللساني في الحضارة العربية ، ص 266 ، نقلا عن الخطابة لابن سينا ، ص198.

* ــ الفارابي أيضا استعمل مصطلح اللحن قاصدا به التنغيم. ينظر : كتاب الموسيقى الكبير ، ص 1100.

[2] ــ مجلة التراث العربي ، مقاتل بعنوان : " ابن سينا و الموسيقى " ، ص 228 نقلا عن : جوامع علم الموسيقى " ابن سينا " ص 8 ــ 9 .

** ــ تحدث الرماني (ت 386 هـ) عن مصطلحي : " التوافق أو التنافر " ، وصرح بأنّ التلاؤم نقيض التنافر ، وأنه نتيجة لتعادل الحروف في التأليف . و يقسم هذا الأخير إلى ثلاثة أوجه : متنافر و متلائم في الطبقة الوسطى ، ومتلائم في الطبقة العليا . ويورد مثالا للمتلائم في الطبقة الوسطى ، و يعتبر القرآن من المتلائم في الطبقة العليا ، فيقول : " و السبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف

محـــــــددة وتعتبر قضية التوافق و التنافر في موسيقى الشرق ، قضية أساسية للغاية ، وابن سينا في كتابه هذا يُشير إلى أنّ طبيعة التناغم والتنافر ذات طابع ذاتي محض ، ودرجة التوافـــق والتناغم هي التي تمنح المتعة للمستمع ، أمّا التنافر فيثير الاشمئزاز. [1]

لم يقف ابن سينا عند هذا الحد ، بل استطاع أن يرقى إلى مستوى معرفة وحدة العوامل النفسية و الفيزيائية في تحديد و تنافر المقاطع الموسيقية ، وأنّ السبب الفيزيائي لتنافر المقاطع ـــ حسب رأي هذا العالم ـــ هو عدم اكتمال الانسجام في نغماتها. 1

وإذا عدنا إلى معاجم اللغو بُغية الوقوف على ما حملته في مادة (نغم) ، نجد أنّ النغمة تعني جرس الكلمة ، وحسن الصّوت في القراءة وغيرها ، والنغمة : الكلام الحسن . [2]

ويرجع انتقاء ابن سينا للفظة (النغمة) إلى القرابة التي بين المعنى المعجمي لهذه الكلمة والاصطلاحي العارض الذي آلت إليه عند توظيفها في الميدان الصوتي وهي حسن الصوت. واكتفى في عرضه لهذا المصطلح على المصدر مفردا (النغمة) [3]، والمصدر مثنى (نغمتين)3 .

بعد اطّلاعنا على مصطلحات ابن سينا الصوتية بشقّيها (الأصواتي و التشكيلي) نستطيع أن نقول أنّ ابن سينا ضبط مصطلحاته ضبطا دقيقا ، وعالج من خلالها كلّ ما له علاقة بالدرس الصوتي من أعضاء للنطق ومحابس و صفات ، وكذا الظواهر الصوتية التعاملية ، بطريقة حظيت بتأييد الدراسات الصوتية الحديثة لها .

فكلما كان أعدل كان أشد تلاؤما ، وأما المتنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد ، وذلك أنه إذا بعُد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر ، و إذا قرُب القرب الشديد كان بمنزلة مشي المقيد لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه ، فكلاهما صعب على اللسان و السهولة من ذلك في الاعتدال . و لذلك وقع في الكلام الإدغام و الإبدال. " ينظر : أثر النحاة في البحث البلاغي " عبد القادر حسين "، دار غريب للطباعة و النشر ، القاهرة ، دط ، 1998م ، ص 25 ، نقلا عن : النكت في إعجاز القرآن ، ص 87 ، 88.

[1] ـــ مجلة التراث العربي : من مقال بعنوان ـــ ابن سينا والموسيقى ـــ ص 228 .

[2] ـــ ينظر : مقاييس اللغة مادة (نغم) 5 / 452 ولسان العرب مادة (نغم) 12 / 7000 ـــ 701 ومعجم متن اللغة 5 / 506 والمعجم الوسيط : ص 1678 .

[3] ـــ مجلة التراث العربي ، من مقال بعنوان " ابن سينا و الموسيقى " : ص 228 نقلا عن : جوامع علم الموسيقى " ابن سينا " ص 8 ـــ 9 .